(الفرج مع الكرب)

هذا العنوان مأخوذ من حديث رسول الله ﷺ، فقد أخرج الإمام الترمذي حديثاً صحيحاً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال لي: «**يا غلام! إني أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجَاهَك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأقلام وجفتِ الصحف**».

وفي رواية الإمام أحمد في مسنده: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا**».

ومعنى (احفظ الله): أي احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب.

وقوله (يحفظك): يفيد أن الجزاء من جنس العمل، وله معنيان: يحفظ لك مصالح دنياك ودينك؛ يحفظ لك مصالح دنياك، فيحفظك في بدنك وولدك وأهلك ومالك، ويحفظ لك دينك وإيمانك، فيحفظك في حياتك من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليك دينك عند موتك، فيتوفاك على الإيمان.

قوله (احفظ الله تجده تُجَاهك) وفي رواية: (أمامك) معناه: أن من حفظ حدود الله، وراعى حقوقه، وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده ف ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128].

قوله (تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة) يعني أن العبد إذا اتقى الله، وحفظ حدوده، وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرف بذلك إلى الله، وصار بينه وبين ربه معرفةٌ خاصة، فعَرَفَه ربه في الشدة، فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة.

قوله (واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا) يعني: أن ما أصاب العبد من المصائب المؤلمة المكتوبة عليه إذا صبر عليها، كان له في الصبر خير كثير. سئل بعض التابعين عن حاله في مرضه، فقال: أحبَّه إليه أحبَّه إلي.

قوله (واعلم أن النصر مع الصبر) وهذا موافق لقول الله عز وجل: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 66].

قوله (وأن الفرج مع الكرب) يشهد له قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: 28] وقولُ النبي ﷺ: «**ضحك ربنا من قنُوط عباده وقُرْبِ غِيَرِه**» خرجه الإمام أحمد.

أيها الإخوة:

من لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسرِ بالعسر: أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى، وحصل للعبد الإياس من كشفه من جهة المخلوقين، تعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من أعظم الأسباب التي تُطْلَب بها الحوائج، فإن الله يكفي من توكل عليه، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3].

والحمد لله رب العالمين